ديموستينس فعزّم بعض رفقائه والتجأ الى هيكل يوصبدون فتبعه قائد لاتيباتراسة ارخباس ولما رأى ديموستينس انه لم يعد له مناص من الموت مصّ السم من قلم كان معه واسلم نفسه للجند محتضرًا ثم اقام له اهل ايجينا تمثالًا بديع الصنعة والتشخيص ونقشوا عليه بيتين من الشعر معناهما: يا ديموستينس لو ساوت قوة بدنك قوة عقلك لم يقدر مريخ مكدونية ان يقهر اليونان البتة

هذا وقد مضى الآن على ديموستينس اكثر من الفين وستي سنة ولم تزل كتاباته متفردة بالبساطة والصراحة والدقة والبلاغة وقوة البرهان وتهييج العواطف وسحر العقول وما تضمنته من حب الوطن والغيرة على صالح الامة

مهاجرة الانسان الى اميركا قبل ان اكتشفها كولومبوس

لجناب الدكتور امين ابي خاطر (١)

قد اعتاد الفلاسفة على تقسيم الحيوان الى اجناس وانواع واسباط تسهيلًا للبحث فيه ومن اهم مسائلهم هذه المسئلة: ألانسان جنس واحد ام اجناس متعددة. فعلماء الانثروبولوجيا قد انقسموا في ذلك قسمين الواحد يقول بتعداد جنس الانسان مستندًا الى اختلاف انواعه قامةً وهيئةً ولونًا وغير ذلك مما يتاز به سكان الاقاليم المختلفة بناء على ان الاختلاف المذكور جوهريٌّ. والثاني يقول بوحدته معتبرًا هذا الاختلاف ناتجًا عن احوال عرضية نوّعت الاصل انواعًا شتى. ولكلٍّ من الفريقين اقوال يضيق المقام عن ايرادها فانتصر على ذكر الحقيقة تمهيدًا لمسئلة وجود الانسان في اميركا قبل اكتشاف اهل اوربا لها لانها من اعظم براهين الزاعمين بتعداد الجنس فاقول

ان العهد القديم الذي يعتبرهُ اليهود والنصارى والمسلمون معًا اول كتاب قال بوحدة الجنس ومنه عرفنا ان كل البشر من اب واحد وام واحدة. وقد زعم بعضهم انه من نفس هذا الكتاب يستدل ان اليهود فقط هم من نسل آدم واما بقية الطوائف فهم فروع اصول خُلِقَت قبل آدم. وبما ان هذه المسئلة هي علمية محضة فلا نجول فيها الاّ بالعلم ولا ندخلها دينًا لان البراهين الدينية تزيد اصحاب مذهب التعداد نفورًا وتصلبًا. اما فلاسفة القرن الثامن عشر فقد ذهبوا فيها مذهب العلم والعقل الآن براهينهم عارية عن كل حقيقة علمية وعقلية. هذا واذا كانت الصفوف البشرية بكل صفاتها المميزة تلتحق بجراثيم ممتازة في الاصل وتؤلف على هذا النسق اجناسًا ممتازة كان درسها من ابسط ما يمكن ولم يكن فيها من الصعوبة اكثر مما في الاجناس الحيوانية او النباتية فيكفينا لذلك ان ننظر فيها فقط ونرتبها ونعرف نسبتها وغاية ما علينا تحديد حدودها والبحث في تاثير الصفوف

(١) خطبة في الاجتماع السنوي لابناء المدرسة الكلية في شهر تموز الماضي

المتقاربة جغرافيًا بعضها في بعض .

واما اذا عادت الصفوف كلها الى جرثومة اصلية مشتركة ولم يكن للبشر الاَّ جنس واحد فالنباتات الواضحة التي تفرق الصفوف بعضها عن بعض تكون بمثابة الانواع الحيوانية والبانية ويكون علينا ان نوضح كيفية تفرق هذا الجنس الواحد في جميع اقطار الكرة ونبرهن كيف امكنهُ ان يوجد في ظروف متباينة كامكان وجود جنس نباتي في القطب وفي خط الاستواء . واذ ذاك ينكشف الخبأ ويرتفع القناع عن الحقيقة وتدرك المسئلة بمعرفة نسبة التوليد الى التباين والمهاجرة وتاثير المناخ

فالفيسيولوجيا تبين لنا من كل وجه ان ليس للانسان الاَّ جنس واحد وصفوفهُ المختلفة هي الانواع او الاسباط . ومن الجغرافية الحيوانية نتحقق ان هذا الجنس كان منوطنًا اولاً في فسحة ضيقة ثم تفرَّق . وهذا التفرق يقتضي ضرورةً من مهاجرة الانسان مركزهُ الضيق . فالقائلون بتعداد الجنس يحصرون الانسان في مركز واحد وينكرون امكانية المهاجرة عليهِ لاسباب يدَّعون انها تمنع ذلك وتثبت زعمهم . على ان زعمهم فاسد لان التاريخ يخبرنا عن مهاجرات كثيرة نشاهدها ايضًا بكثرة في هذه الايام في العالم المتمدن وفي الامم البالغة اقصى درجات التوحش . وكلما تقدمنا في المعرفة رأينا ان للانسان ميلاً شديدًا جدًّا للسفر . ويؤيد شهادة التاريخ شهادة آثار الانسان القديمة فالارض عمرت بارتحال الانسان الى كل جهاتها ويستبعد ان تستقر امة في بلاد استقرارًا دائمًا لانهُ لابد بعد استقرارها فيها زمانًا ان تكثر عددًا فتضيق البلاد عليها فتضطر شعوب منها ان تهاجر الى حيث تتيسر لها اسباب المعيشة وعلى هذا النمط اهلت الارض

اما القائلون باستقرار الانسان فيستندون الى امرين الاول حالة الهيئة الاجتماعية قديمًا وافتقارها الى كل وسائط القوة التي لها الآن . والثاني مقاومة الاحوال الطبيعية لهم عن السير

اما استنادهم الى الامر الاول فضعيف لان افتقار الهيئة الاجتماعية قديمًا يسهِّل تفرق الجنس ولا يمنعهُ كما يتضح بالامعان . فان الفلاحين يضطرون الى الاقامة واما الرعاة الذين علاقتهم بالارض اقل من علاقة الفلاحين فيضطرون الى الرحيل الى حيث توافقهم الارض والصيادون يضطرون بمقتضى الصيد والميل الغريزي فيهم ان يتفرقوا في الارض طولاً وعرضًا وعلى ذلك لا تفنى القبائل قليلاً حتى تطلب التفرُّق فيكون شأن الصيادين والرعاة الرحيل وشأن الفلاحين الحضارة

اما استنادهم الى الامر الثاني اي ان احوال الطبيعة منعت مهاجرة القبائل الخالية من وسائطنا الحاضرة فمردود ايضًا . وفي الرد عليهِ يتم الكلام الى المهاجرة في البر والمهاجرة في البحر . اما امكان المهاجرة في البر فالبرهان عليهِ سهل وان بالغوا في ضعف الانسان وشدة الصعوبات المانعة سيرهُ من وحوش ووعور فان الانسان كان دائمًا قاهرًا للوحوش الضارية وكان في الدور الجيولوجي

الرابع يأكل الريوسبيروس (الكركدن). وقد اخترق الجبال والهضاب ومعهُ ما زاد سيرهُ صعوبة فان هنيبال قطع جبال الالب بالاقيال وبونابرت بالمدافع وجيوش اسيا لم تبالِ بحر ازوف وفرنند وسوتو لم يبالِ بسباخ فلوريدا والفوافل تخترق المفاوز على الدوام وكل بربري يعرف ان يقطع الانهار على عوارض خشبية او على زق منفوخ

والتواريخ تثبت لنا من كل وجهٍ صحة ما ذكرنا فمن منا لا يعرف حروب الرومان وتجريدات اليونان وافتتاحات العرب ومثلها حوادث المكسيك والقوط والفاندال. وكلها تشهد بانهُ لا يوقف الانسان الاَّ الانسان فان لم يكن انسان فليس ما يوقف الامم والقبائل في تقدمها وامتدادها على الارض تدريجًا

اما المهاجرة في البحر فالاقرار بها اولى لان التاريخ برهان عظيم لاثباتها. وان انكرها القائلون بالاستقرار وحسبوا ارتحال الناس من اسيا الى اميركا فوق اطاقة اهل تلك الاعصار مع جهلهم المعارف الفلكية وافتقارهم الى وسائط سالك البحار كذبتهم الاحوال الجغرافية وموافقة الرياح ومناسبة المجاري والتيارات

ان مسئلة عمران اميركا لعقدة عجز عن حلها كبار الفلاسفة ولا تُحَلُّ الاَّ بالبحث المدقق والدرس المستطيل. ولم تكثر فيها المذاهب الاَّ لشدة خفائها وما جعل الانسان الاميركاني جنسًا قائمًا بذاتهِ الاَّ لان العلماء لم يقدروا ان يلحقوهُ بفرع من فروع الجنس الاصلي الذي لا يمكن ان يكون اكثر من واحد. اما الاكتشافات والمباحث الاخيرة فقد مزّقت الغياهب وبدّدت كثرة المذاهب وكشفت غوامض هذه المسئلة وبرهنت ان الانسان الاميركاني انما جاز الى اميركا بالرجيل كما سيتضح باجلى بيان

اذا نظرنا الى الخارطة سهل علينا حل المسئلة جغرافيًا لان مجاورة القارتين اعني اسيا واميركا عند بوغاز بيرين ووجود جزائر سان ديوميد هناك ووقوع امها في منتصف الطريق بين تينك القارتين وامتداد جزائر اليوسيان من كمشتكا الى شبه جزيرة الاسكا وعوائد سكانها ووجود قبائل تشوكتشيا على الشطين وعوائدهم في السفر من بلاد الى اخرى لمقاصد تجارية بسيطة كلها تسهل عبور اهل اسيا الى اميركا الشمالية في جهات الاوقيانوس الشمالي. وكذلك في الجنوب تجري تسّان ويسمّى النهر الاسود فانهُ سبيل مفتوح للبحريين من اسيا الى اميركا. وكثيرًا ما قذف هذا المجرى مراكب واجسامًا عائمة على شواطئ كاليفورنيا اي من اسيا الى اميركا. فاحداث في هذه الايام لا يستبعد حدوثها قبل اكتشاف اهل اوربا لاميركا فلا يستبعد وصول اهل اسيا بحرًا الى اميركا من كل الاماكن التي يرويها النهر الاسود

وكذلك التيار الاستوائي الاتلانتيكي فانهُ سبيل مفتوح من افريقيا الى اميركا. وقد ظهر من

بعض الحوادث وان تكن نادرة ان بعض التائهين ساروا فيهِ فلا بدع اذا رأينا في اميركا اناسًا شبيهين باهل اسيا

ان اللون الاسود لا يشاهد في اميركا الاَّ قليلاً في عشائر متفرقة بين شعوبها كالخاروا في البرازيل والكرايبس السود في جزيرة ماري منصور في خليج المكسيك والباماسي في فلوريدا واهالي كاليفورنيا المشهورين باللون الغامق الذين نقلت عنهم بعض الروايات واخبرتهم سياح اسبانيا القدماء. ومن ذلك ايضًا العشيرة التي شاهدها بولبوا في عبورهِ برزخ داريان سنة ١٥١٣. وكان هذا الفرع معروفًا عند الاسبانيين وكانوا يتعجبون كلما رأوا عبيدًا بشعرٍ سَبْط ويذكرون ذلك في رواياتهم

اما الابيض فاكثر كثيرًا من الاسود فانهُ يوجد على طول الشط الشمالي الغربي شعوب يظهر انهم من سبطٍ ابيض صافٍ. ولعشائر الكباوا والكاسكادا والليباني في اعلى ميسوري شعر اشقر كالشعر الخاص بالاسباط البيضاء الاعلى رتبةً. وعند خليج باربا لهم نوع من الشعر الاشقر. وفي كرينلاندا اناس يتكلمون بلغة الاسكيمو الاَّ انهم طوال وكبار وشقر. وقد شبهوا اهل غواناني بالكناريين وقالوا عن اهل سانيولا انهم اجمل واشد بياضًا. وشبهوا الخارازيين في بيرو بالكناريين ايضًا وميزوهم عن كل العشائر المحيطة. وكان بعضهم يقول اني كلما ارى حولي خدامي من هنود رايمال اظن نفسي محاطًا بالعرب لان لهم نفس ما للعرب من اللون والسحنة واللحية. وكان غيرهُ يقول اني كلما ارى حولي خدامي الصيانيين اظن نفسي في اميركا

فهذه الخصائص اي الصفرة والبياض والسواد التي نراها اليوم في اهل اميركا انما جاءتها بالارتحال اليها كما يتضح من التاريخ ومن بعض الادلَّة فلا ترى السود مثلاً الاَّ في الاماكن المتصلة اما بالنهر الاسود واما بالتيار الاستوائي الاتلانتيكي او فروعهِ. وفي ذلك دليل واضح على ان اصل هولاء السود جاء من جزائر اسيا او من افريقيا الى اميركا حيث اختلط بالذين كانوا فيها فتولد من ذلك العشائر الفلبيلون المتمازون بلونهم عن كل الاسباط الذين حولهم

ويُعلَّل وجود الابيض في اميركا بارتحالهِ اليها من نواحي افريقيا كما يستدلُّ من تقاليد قبيلة غوياناو من استعمال هذه القبيلة لنوع من الاسلحة خاصٍّ باهل جزائر كناري القدماء قرب افريقيا. ويؤيد ذلك ايضًا ما حدث في القرن الماضي سنة ١٧٣١ و١٧٦٤ وهو ان مراكب صغيرة كانت ذاهبة من احدى جهات كناري الى جهة اخرى فدفعتها الارياح التجارية والتيار الاستوائي الى اميركا. فاحداث في هذه الايام لا يعد حدوثهُ مرارًا في الماضي فلا عجب اذا كان في نواحي خليج المكسيك طوائف تشابه البيض من اهل افريقيا

اما وجود الاصفر في اميركا وسبب كثرتهِ هناك فيعلَّلان بالنظر الى موقع قارتي اسيا واميركا

وطبائعها . فاذا فُرِض ان حدودها كانت قديمًا على ما هي عليهِ الآن لم يعسر البتة على اهل اسيا ان يجتازوا الى اميركا كما تقدم . هذا وان اهل اسيا قد عرفوا اميركا قبلما عرف الاوربيون شيئًا راهنًا عنها . وقد ثبت ذلك من مطالعة الكتب الصينية التي تبين ان الصينيين كانوا يعرفون اميركا

واول من طالعها واطلع اوربا عليها العلّامة دوغويني قال ان هذه الكتب تتكلم عن بلاد تُدعى فوسانك واقعة الى شرقي الصين على مسافة بعيدة جدًّا عن اسيا وارتأى ان تلك البلاد هي اميركا . على ان كثيرين من العلماء خطّأوهُ في ذلك لانهم لم يشاءوا ان يقرّوا بسبق اهل اسيا لهم في هذا الاكتشاف كأنهم يتزلون بذلك كرستوفورس كولومبوس عن شرفهِ . ولانهُ لابد لكل اكتشاف جديد من بعض المقاومة . اما من يدرس المسئلة متزهًا عن الاغراض فيصادق على ما قالهُ دوغويني . ولا بأس من ذكر بعض مقالطاتهم لهُ لاثبات البرهان وزيادة الايضاح

قال كلابروث ان الفوسانك ليست الاَّ اليابان اما مؤلفو الصين فيقولون ان الفوسانك تحتوي ذهبًا ونحاسًا وفضةً وليس فيها حديد وهذا لا يصح على اليابان بل على اميركا وقد اسند كلابروث قولهُ الى ان الصينيين لم يكونوا قادرين على معرفة مسيرهم ولا على قياس بعد اسفارهم قياسًا مدققًا وبذلك غفل عن انهم عرفوا استعمال الحك قبل التاريخ المسيحي بالفي سنة ورسموا خارتات جغرافية افضل كثيرًا من خارتات الاجيال المتوسطة . اما قياسهم لبعد اسفارهم فدقيق فان بارافي يقول ان الفوسانك على مسافة عشرين الف لي من الصين واللي حسب بوتيير يساوي ٥٠٠ ٤٤٤ المتر فاذا تبعنا النهر الاسود هذه المسافة وصلنا تمامًا الى كاليفورنيا . وهذا ايضًا شاهد على امكان انتزاح الانسان من اسيا الى اميركا بحرًا

ويحكى ايضًا في تلك الكتب التي درسها دوغويني وبارافي عن فرق دينية سافرت في نحو الجيل الخامس من كيين الى الفوسانك للتبشير بالديانة البوذية واثبت ذلك بارافي بالصورة التي اكتشفها في جنوبي كاليفورنيا واخذ رسمها وهي صورة صينية تشخّص كاهنًا بوذيًّا . وثبت ذلك ايضًا بالمشابهة بين الابنية والصور البوذية في اسيا وبينها في اميركا

وقد ذكر في احدى الانسكلوبيذيات اليابانية ان لليابانيين معرفة بالفوسانك وانهم كانوا يدعونها الفوسو وان جماعات دينية بُعِثَت اليها من بلاد كيين فيستدل من ذلك بان الفوسو واليابان بلادان مختلفتان

وقد وجد ما عدا ذلك ان سكان قرية اتن من اقليم لامبايك في اميركا يتكلمون بلغةٍ قد امكن للصينيين الذين اتوا في السنين الاخيرة الى بيرو ان يفهموها جيدًا وذلك يدل على ان الصينيين اتوا قديمًا الى بيرو باميركا وقطنوا فيها (ستاتي البقية)